المُعجزة في ضوءِ القراءة الماديِّة للتّاريخ - دراسة تحليلية

أ. د. نزار عبد الأمير الغانمي[1]

ملخّص

يَسعى الباحثُ لمناقشة واحد من أهمِّ المفاهيم، وهو مفهومُ المُعجزةِ في إطار جدال التُّراثِ والحَداثة. لكونِ أصداءِ المواقفِ الرّافضةِ أو المُشكّكة لأخبارِ المُعجزاتِ، وإنْ كانَت باهتةً، فإنَّ لها امتدادات في العَصر الحَديثِ، فظهرَت المَذاهبُ التَّوفيقيّةُ على هامش حراكِ حركةِ التَّنويرِ، والتي تُحاولُ تفسيرَ الأحداثِ المُعجزةِ بتَفسيرات علميّة تَجريبيّة، لتَقولَ إنَّ وجهَ الإعجازِ كان مزيجًا من عدم إدراكِ المُسبِّباتِ الحقيقيّة للظَّواهرِ في ذلك الوَقت، إضافةً إلى ميلِ الحكاياتِ الشَّفهيّةِ إلى تَضخيم كلِّ ما هو مُقدَّس.

ولكونِ هذه التَّياراتِ مُتشعِّبةَ الأفكارِ والاتِّجاهات حاولَ الباحثُ استعراضَ بعضِ آراءِ التَّياراتِ الحَداثيّةِ في العالَم الإسلاميِّ، التي تُحاولُ إيجادَ رُؤيةٍ كلاميّة جديدة للمُعجزةِ تَتوافقُ مع ما هو مَقبولٌ «حسِّيًّا»، بالحديثِ عن «تأويل رمزيّ» من قَبيلِ "ضربِ الأمثال" أو «تحريفات الذّاكرة الشَّفهيّة» .. إلخ، ومن ثَمَّ حاولَ تَفنيدَ ذلك.

الكلمات المفتاحية: المعجزة، خوارق العادات، الحداثيُّون، النُّبوات، العقل.

---

١ - أستاذ فلسفة القانون والفكر الإسلامي المعاصر – جامعة كربلاء – العراق.

أولًا: تعريف المُعجزة

يُطلَقُ الإعجازُ في اللُّغة على إثبات العَجز، وهو القُصورُ عن فعلِ الشَّيء، فعندَما يُقال: «أعجزَ فلانًا الأمرُ، إذا حاولَ تَحقيقَهُ فلم يُحقِّقْهُ، والإعجازُ: ضدُّ القُدرةِ، وهو زوالُ القُدرةِ عن الإتيانِ بالشَّيءِ من عملٍ أو رأيٍ أو تَدبير»[١].

وقال (ابن منظور): الإعجازُ هو الفَوْتُ والسَّبقُ بالنَّظر إلى حال المُعجز، وهو الضَّعفُ بالنَّظرِ إلى حال العاجز[٢]. في حين أشارَ (الراغب الأصفهانيُّ) إلى معنى الإعجازِ بقوله: «العَجزُ: أصلُهُ التأخُّرُ عن الشَّيءِ، وحصولُه عند عَجُزِ الأمرِ، أي مُؤخَّرِه ... وصار في التَّعارفِ اسمًا للقُصورِ عن فعلِ شيءٍ»[٣]. وأمّا في الاصطلاحِ الفلسفيِّ فقد عُرِّفَت على أنَّها: «ثبوتُ ما ليسَ بمُعتادٍ أو نفيُ ما هو مُعتادٌ مع خرقِ العادةِ، ومُطابقةِ الدَّعوى»[٤].

وعرَّفَها (الجرجانيُّ) بقوله: «المُعجزةُ: أمرٌ خارقٌ للعادةِ، داعٍ إلى الخيرِ والسَّعادةِ، مقرونٌ بدَعوى النُّبوةِ، قُصد به إظهارُ صِدقِ مَنِ ادَّعى أنَّه رسولٌ من عندِ الله»[٥].

ويُشترطُ في المُعجزةِ عدّةُ شُروطٍ لتَمييزها عن غيرِها، ومن هذه الشُّروط[٦]:

أن تكون حدثًا جديدًا وقعَ في الزَّمن الحاضر، وأن تكونَ خارقةً للعادة، وأن تَظهر على يدِ مَن بعثَه اللهُ بدعوتِه مِن رُسلِه إلى خَلقِه، ولكي تكون المعجزةُ كذلك، لا بدَّ أن تكونَ ممّا لا يَقدر

---

١ - الفيروزآبادي: بصائر ذوي التميز، ج١، ص٦٥.

٢ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عجز.

٣ - الراغب الاصفهاني: مفردات غريب القرآن، مادة عجز.

٤ - الطوسي: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص٢١٨.

٥ - الجرجاني: التعريفات، ص٢٨٢.

٦ - أبو بكر الخوارزمي: مفيد العلوم ومبيد الهموم، ص٤٣.

عليه البشرُ، وأن تكونَ مُؤيِّدةً للرُّسُلِ ودالّةً على صِدقهم، وأن تكونَ مُطابقةً لدَعوى مَن ظهرَت عليه على وجهِ التَّصديق، ولا مُكَذِّبةً له[1]. وأنَّ المعجزاتِ من عند الله -تبارك وتعالى-؛ فالأنبياءُ، عليهم السَّلام، لا يَملكون أن يأتُوا بالمُعجزات ابتداءً من عند أنفسهم، إنَّما يأتونَ بها من عند الله تعالى. وتأتي على يدِ المُرسَلِ ليُؤكِّدَ صدقَ النُّبوة[2]، وأن تكون مُقترنةً بادِّعاءِ مَن ظهرَت على يديه النُّبوةُ والمُعجزةُ، وترتبطَ بالنُّبوة، لأنَّه لا سبيلَ إلى الاعترافِ بالنُّبوةِ إلا بواسطةِ المُعجزةِ، فإنَّه لا معنى للمُعجزة إلا بعدَ تقريرِ اطِّرادِ العادة[3].

ثانيًا: الاتِّجاه الحَداثيُّ الإسلاميُّ ومَنهجه في التَّعامل مع المُعجزات

لقد تأثَّرَ بعضُ المُفكِّرينَ المسلمين[4] بفلاسفةِ التَّنويرِ الذينَ ظهروا في القرن الثامنَ عشَر في الدُّولِ الغربيّة، فاستعمَلوا ألفاظًا ومصطلحاتٍ من قَبيلِ «الحَداثة» و«العقلانيّة» لتكونَ في مقابلةِ النُّصوصِ الدِّينيّة، ويُطلقونَ عليها تارةً أُخرى "التَّقدُّميّة" أو«التَّنوير»، لتكون في مقابلةِ التُّراثِ والثَّوابتِ التي يَزعمون أنَّها رجعيّةٌ وجامدةٌ ولا تُقدِّمُ نفعًا.

فنظرَ هؤلاءِ إلى الحداثةِ[5] على أنَّها مذهبٌ فكريٌّ جديدٌ، يَقوم على تأليهِ العقلِ، ورفضِ الغَيبِ،

---

١ - ينظر: عبد الحميد درويش: المعجزات وخوارق العادات، ص٢٤.

٢ - ينظر: باسم مكي: المعجزة في المتخيل الإسلامي، ص١٣.

٣ - الشاطبي: الموافقات، ج٢، ص١٩٥.

٤ - ومن أشهرهم: (طيب تيزيني)، و(حسن حنفي)، (محمد عابد الجابري)، و(حسين مروه)... وغيرهم.

٥ - تُعرَّف «الحداثة» على أنَّها: «ثورة على الدِّين، وتمرُّد على أحكامه، وصراعٌ مع الماضي بمُقدَّساته وتُراثه، لا لإثبات الجديد، بل لإثبات التبعيّة للغرب، والتنكُّر لثوابت الامة.» (ينظر: محمد رشيد ريان: الحداثة والنص القرآني، ص٢٤.). وقد عُرِّفت «الحداثة» بأنَّها: «مذهب فكريٌّ جديدٌ، يَقوم على تأليهِ العقل، ورفضِ الغَيب، وإنكار الرحمة، وهدم كل موروث يتعلَّق بالمعتقدات والقيم والأخلاق". (أبو سفيان مصطفى باحو السلاوي: العلمانية والمذهب المالكي، ص١٩١.). ويُقدِّم (سبينوزا) مثالاً رافضًا للمعجزة في الفضاء اليهودي – المسيحي، حيث خصَّص فصلاً كاملاً للمعجزة، وانتهى إلى ردِّها، مُؤكِّدًا عدمَ أمكانيةِ خرقِ قوانينِ الطَّبيعة، حيث قال: «كلُّ ما هو خرقٌ للطَّبيعةِ هو ضدُّ العقلِ، وكلُّ ما هو ضدُّ العقلِ هو في الحقيقةِ عبثٌ ويَجبُ من ثَمَّةَ رَفضُه». (ينظر: باسم مكي: المعجزة في المتخيل الإسلامي، ص١٨.).

وإنكارِ الرَّحمة، وهدمِ كلِّ مَوروثٍ يتعلَّقُ بالمُعتقَداتِ والقيَمِ والأخلاق؛ فالاتِّجاهُ الحداثيُّ أقامَ أحكامَه على خصوماتِ الدِّينِ والقِيَمِ والأخلاق، وهذا يُمثِّلُ الجانبَ السَّلبيَّ للاتِّجاه الحداثيِّ، الذي يَقوم على تقديسِ العقلِ، واعتباره فوقَ النَّقلِ، والتَّركيزِ على فكرةِ العَدَميّة للدِّين. وإنكارُ الحداثيِّينَ للمُعجزاتِ الحسِّيةِ للنبيِّ ﷺ، كان بغرضِ التَّكذيبِ لِما جاءَت به آياتُ القرآنِ الحَكيم والسُّنةُ النَّبويّةُ عن خوارقِ العاداتِ، ومُثبِتاتِ النُّبوة.

فقد تحدَّثَ بعضُ الحداثيِّينَ عن النبيِّ محمد ﷺ، بأنَّه قد جاء بلا مُعجزة! مدَّعينَ أنَّ المُشركينَ والكتابيِّينَ يُطالِبُونَ الرَّسولَ بإتيانهم بآيةٍ تُثبتُ مصداقيّةَ رسالته، والرَّسولُ يُحيلُ طلبَهم إلى الله، لأنَّ الآيات هي من اختصاصه وحدَه، قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ للهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾ [يونس: ٢٠].

ومن الآيات القرآنيةِ التي أوردوها ضمنَ ادِّعائهم، واستشهدوا بها على أنَّ النَّبيَّ بُعِثَ بلا مُعجزةٍ قولُه تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ ...**﴾ [هود: ١٢].

ويَرى بعضُ الحَداثيِّينَ أنَّ الصُّورةَ التي تُقدِّمُها الآياتُ القرآنيّةُ عن مُشركي مكّةَ لا يَظهرُ منها أنَّهم رافضونَ للدَّعوةِ أو مُقاومونَ عتاةٌ لها، بقَدر ما يَظهرونَ أنَّهم طالبونَ لبُرهان المُعجزةِ على نحوِ ما تُوضِّحُه الآياتُ التّاليةُ، قال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا**﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

ومن أهمِّ تلكَ الامتداداتِ في العصرِ الحديثِ لرفضِ المُعجزةِ آراءُ (محمد حسين هيكل) (١٨٨٨ -١٩٥٦م) من خلال كتابه «حياة محمَّد»، حيثُ حاولَ مقاربةَ سيرةِ الرَّسولِ وحياته مُقارَبةً «علميّةً»، فبدأ يُقارنُ بينَ الأحداثِ المذكورةِ في سيرةِ الرَّسولِ، وما وردَ في القرآنِ الكريمِ على،

اعتبارِ أنَّه أصدَقُ مرجعٍ للسِّيرةِ، وفيه إشارةٌ إلى كلِّ حادثةٍ من حياة النبيِّ العربيِّ[١].

فحاولَ (هيكل) النَّظرَ في بعض المُعجزاتِ الواردةِ في كتبِ السِّيرَ من قَبيل شقِّ الصَّدر أو الإسراء والمعراج، فنَفى أن يكونَ هذا الحدثُ قد وقعَ في التاريخ، ورفضَ أن تكون الملائكةُ قد شقَّت صدرَ الرَّسول ليَقولَ: «إنَّ ما يُشيرُ القرآنُ إليه إنَّما هو عملٌ روحيٌّ بحتٌ، والغايةُ منه تَطهيرُ هذا القلبِ وتَنظيفُه ليَتلقّى الرِّسالةَ القُدسيّةَ ويُؤدِّيها مُخلصًا تمامَ الإخلاصِ مُحتملاً عبْءَ الرِّسالة المُضني...»[٢]. إلى أن انتهى إلى القول: «... إنَّ حياةَ الرَّسولِ محمَّد كانَت كلُّها إنسانيّةً ساميةً، وأنَّه لم يَلجأْ في إثباتِ رسالتِه إلى ما لجأ إليه مَن سبقَه من أصحابِ الخَوارق»[٣].

ولكنْ على الرغمِ من أنَّ (هيكل) قد ردَّ هذه المُعجزات، وأنكرَ حدوثَها، إلا أنَّه لا يُنكرُ خوارقَ العاداتِ عندَ مَن سبقَ من الرُّسلِ، فمثلاً لا يُنكرُ معجزاتِ عيسى (عليه السلام)[٤]، و(هيكل) بهذا لا يُنكرُ جميعَ المُعجزاتِ، وإنَّما ردَّ مُعجزاتِ النبيِّ الأكرم (صلى الله عليه وسلم)، المادِّيَةَ، فيما أثبتَ مُعجزاتِ بقيّةِ الأنبياءِ؛ لأنَّها -بحسبه- وردَت في نصوصٍ صريحةٍ، في حين وردَت آياتُ المُعجزاتِ المادِّيةِ للرَّسولِ في نصوصٍ مُلغزة قابلةٍ للتأويل.

في حين أشار (جورج طرابيشي) (١٩٣٩ - ٢٠١٦م) إلى «إنَّ الغيابَ التامَّ للمُعجزاتِ النَّبويّةِ في النصِّ القرآنيِّ -وللمُعجزاتِ الإماميّةِ في النُّصوصِ التأسيسيّةِ الأولى- قد أطلقَ العنانَ للأدبياتِ المُعجزيّةِ اللاّحقةِ لتتخيَّل ولتُفرطَ في التخيُّلِ، وهكذا لا تكونُ المُعجزةُ في الإسلام قد انعقَدَت من أسرِ الواقعِ وحدَه، بل كذلك من أسرِ النَّصِّ، وهذا ما أطلق العنانَ في الإسلام المُتأخِّرِ لظاهرةِ ارتدادٍ تَضخيميّةٍ نحوَ النُّصوصِ التأسيسيّةِ؛ لتَحميلِها بشُحناتٍ مُضاعَفةٍ من أدبياتِ خرقِ العادةِ، لم تعرِفِ المسيحيّةُ نظيرَها، معَ أنَّها في الأساسِ ديانةُ مُعجزاتٍ...»[٥].

وهنا يتَّضحُ تأثُّرُ الفِكرِ الحداثيِّ العربيِّ بفلاسفةِ التَّنويرِ في أوروبا من جهةٍ، وببعضِ أفكارِ

١ - محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص٢٣.
٢ - محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص٢٣.
٣ - محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص٨١.
٤ - محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص٣٥٣.
٥- جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ص١٧٩.

المُعتزلة من جهة أُخرى، وتَبنِّيهم أفكارًا من قَبيل إنكار المعجزات، وتبنِّي تصوُّر فلاسفة التَّنوير لمَفهوم «النُّبوة» من جهةٍ أُخرى؛ فقد اختلفَ المعتزلةُ فيما بينَهم في «النُّبوة» هل هي جزاءٌ أم ثوابٌ؟ أم لا؟ حيثُ قال بعضُهم هي ثوابٌ وجزاءٌ على عملٍ صالحٍ عَملَه النبيُّ ﷺ، فاستحقَّ أن يَجزِيَه اللهُ بالنُّبوة، في حين قال آخرونَ من المُعتزلة: ليسَت بجزاءٍ ولا ثوابٍ[1].

ويُوضِّحُ (الشَّيخُ جعفر السبحاني) هذه العلاقةَ بقوله: «فقد اهتمَّ المستشرقونَ في العصور الأخيرة بمَذهب الاعتزال، ولقد عَجبُوا بمَنهج الاعتزال في حريّة الإنسان وأفعاله، وصارَ ذلك سببًا لرُجوع المُعتزلة إلى السّاحة من قِبَل المُفكِّرينَ الإسلاميِّينَ، ولذلك نُشِرَت في هذه الآونة كُتبٌ حولَ المُعتزلة»[2]، لذا تَبنَّى الحداثيُّونَ أفكارَ المُعتزلة، وخاصّةً في مقولتهم «خلق الإنسان لأفعاله»، وتقديمهم العقلَ في تفسير القرآن في حال تعارُض الأدلّة[3]. وفيما يخصُّ المُعجزةَ، فبَعضُ المُعتزلة نَفى أن تكونَ المُعجزاتُ دلائلَ على صدق الرَّسول في دَعواهُ الرِّسالةَ؛ ففَلْقُ البَحر، وقَلْبُ العصا حيّةً، وانشقاقُ القَمر، والمَشيُ على الماء وغيرها... جميعُها لا تدلُّ في نظرِهم على صدق الرِّسالة[4].

امتدادًا لهذا الاتِّجاه، على سبيل المثال، يقول (محمد شحرور) (١٩٣٨-٢٠١٩م): «... أمّا بالنِّسبة للنبيِّ ﷺ، فقد كانَت معجزةُ نُبوّته القرآنَ نفسَه، أي أنَّ القرآنَ هو التَّصديقُ، وهو النُّبوة معًا، ولم تأتِه النُّبوّةُ والآياتُ البيِّناتُ مُنفصلاً بعضُها عن بعضٍ، كما كانَت بالنِّسبة لكلِّ الأنبياء»[5].

ثالثًا: ادِّعاء تعارُض مفهوم المُعجزة والعقلائيّة في الفِكر الحداثي

على الرَّغم من أنَّ أشهرَ التَّقسيمات للمُعجزة تجعلُها قسمَين: مَعنويّة، وهي التي تُدرَكُ بالعَقل، وحِسِّية، وهي التي تُدرَكُ بإحدى الحواسِّ، وخاصّةً حاستَي السَّمع والبَصر. إلّا أنَّه في كلتا الحالتَين يكونُ للعقلِ دورٌ في حصول المُعجزات، لكنَّ هذه الفِكرةَ تتعارضُ مع مفهوم

١ - ينظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص٢٩٧.

٢ - جعفر السبحاني: المذاهب الإسلامية، ص٩٢.

٣ - ينظر: محمد علي رضائي: مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة في مناهج التفسير الإسلامي، ص٣٦٧.

٤ - ينظر: البغدادي: الفَرق بين الفِرق، ص١٦٢.

٥ - محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص٧١٦.

المُعجزة عندَ الفكرِ الحداثيِّ؛ باعتبار أنَّ المُعجزاتِ الحسِّيةَ وخوارقَ العاداتِ خوارقُ للعُقول والبَديهيّات، وباعتبار أنَّ «العقل» يَرفض هذه المسائلَ. وعليه، يَرفضونَ فكرةَ أنَّ المُعجزةَ آيةٌ عقليّةٌ على النُّبوّة؛ لأنَّها ليسَت أمرًا فكريًّا يمُكن تحصيلُه بالتعقُّل، وقد أشارَ (حسن حنفي) (١٩٣٥-٢٠٢١م) إلى ذلك بقوله: «البِناءُ العقليُّ الذي تَقوم عليه المُعجزةُ إنَّما هو بناءٌ هاوٍ، لا أساسَ له، ويمُكن التحقُّقُ من تَهاوي هذا البناءِ بالعَودةِ إلى معاني المُعجزة وشروطِها ودلالتِها، وتَقوم استحالةُ المُعجزةِ على إنكارِ وُقوعِها، أو إنكارِ دلالتِها، أو إنكارِ العِلمِ بها»[١].

ومن خلال قولِ (حنفي) هذا، يتبيَّنُ أنَّ العقلَ يُحيلُ وقوعَ المُعجزاتِ، وهنا رتَّب إنكارَه للمُعجزات على مخالفتِها لأحكام العَقل، وقوانينِ الطَّبيعة، فلو كانَت كذلك لكانَت قدحًا في العَقل، ولكنَّها خارقةٌ للعادة، إلا أنَّه لو فطنَ (حنفي) إلى الفروقِ القائمة بين أحكامِ العقلِ وأحكامِ العادة ما كان وقعَ في هذا الوَهم؛ إذ إنَّ حُكمَ العادةِ حقيقتُه، "إثباتُ الرَّبط بينَ أمرٍ وأمرٍ وُجودًا أو عَدمًا، بواسطة تكرارِ القرآن بينَهما على الحسِّ.... وأمّا الحُكمُ العقليُّ فهو عبارةٌ عمّا يُدرِكُ العقلُ ثبوتَه أو نفيَه، من غيرِ توقُّفٍ على تكرارٍ، ولا وَضعِ واضعٍ»[٢].

«وإنَّ العقلَ وحدَه لا يَستطيع أن يعرفَ المُعجزاتِ وأنواعَها، وما حدثَ للأنبياء مع أقوامِهم، بل إنَّ تواتُرَ المُعجزةِ الواحدة مع أنبياء الله، كمُعجزة إحياءِ المَوتى، جاءَت لنبيِّ اللهِ إبراهيمَ، وموسى وعيسى، ونبيِّنا محمَّدﷺ، وكلُّها لا يُمكِنُ التَّسليمُ بها إلا عن طريقِ السَّمعِ، ومِن ثَمَّ دخلَت في السَّمعيات من هذا الجانب»[٣].

«إنَّ القولَ بأنَّ المُعجزةَ خارقةٌ للعقلِ وأحكامه هو نتيجةٌ للوَهمِ الذي وقعَ فيه هؤلاء، لأنَّهم لم يُفرِّقوا بينَ أحكامِ العقلِ وأحكامِ العادة، فحُكم العادةِ حقيقتُه إثباتُ الرَّبط بينَ أمرٍ وأمرٍ وجودًا أو عدمًا بواسطة تكرارِ القرآنِ بينَهما على الحسِّ... في حين الحُكمُ العقليُّ هو عبارةٌ عمّا يُدرِكُ العقلُ ثبوتَه أو نَفيَه من غير توقُّفٍ على تكرارٍ، ولا وَضعِ واضعٍ»[٤].

---

١ - حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ص٧٦.

٢ - محمد بن يوسف السنوسي: شرح أم البراهين، ج٢، ص٣٢٤.

٣ - التفتازاني: شرح المقاصد، ج٢، ص١٧٦.

٤ - التفتازاني: شرح المقاصد، ج٢، ص٣٨٤.

والواقعُ يقولُ إنَّ عوامَّ النّاسِ إنمَّا يُؤمنونَ بالأنبياء، عليهم السَّلام، بدلالة المُعجزة، لذا تجهَّزَت النُّبوّةُ بها، وخضعَ النّاسُ لدَيها، وصدَّقَها القرآنُ، بحيثُ يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ المُعجزةَ آيةٌ عقليّةٌ على النُّبوة، وأنَّ بينَهما تلازُمًا عقليًّا، فيَجوزُ وقوعُ المُعجزاتِ عقلاً، كما أنَّ مُخالَفةَ السُّننِ الكونيّةِ المَعروفةِ ممّا لم يَقع دليلٌ على استحالته، فهي وإنْ كانَت مخالفةً للعادةِ داخلةٌ في نطاقِ المُمكناتِ العَقلية، ولا يَلزمُ أن يكونَ المُخالِفُ لسُننِ الكونِ مُخالفًا للعقلِ.

رابعًا: نقد الإشكالات التي وردَت على مفهوم المُعجِزة

تأثَّرَ بعضُ الباحثينَ الإسلاميِّينَ بالرُّوحِ المادِّيةِ في الفكر الحديث، الذي يقوم على تَقديس المعرفةِ التَّجريبيّة، ويذهبُ إلى القولِ باستقلالِ المادّة في الكون وعدمِ إمكانيّةِ خرقِ قوانينها الطَّبيعيّة، باعتبار أنَّ المُعجزةَ هي أمرٌ مُنزَّلٌ من وراء الطَّبيعة، ويُؤدِّي إلى خرْقِ قوانينِ الكونِ المادِّيةِ، فلا بدَّ من أسقاطِها وإنكارِها، حالُها حالُ جميعِ الأمور الرُّوحيّةِ الأخرى.

لقد تأثَّرَ الفكرُ الحداثيُّ تأثُّرًا كبيرًا بالفيلسوف الأسكتلنديِّ (ديفيد هيوم - David Hume) (١٧١١-١٧٧٦م)، حيثُ لعبَتْ فلسفتُه الحسِّيةَ دورًا كبيرًا في نقد الدِّين، ومن أشهرِ ما كتَبَه في هذا المجالِ كتابُه «مبحث في المفاهيمية البشرية» وبالتَّحديد الفصل العاشر بعنوان «عن المُعجزة»[1]. لذا يَرى الباحثُ أن يُوجِّهَ النَّقدَ أولاً إلى الفيلسوف (هيوم) ومن ثَمَّ إلى المُتأثِّرينَ بأفكاره.

عرَّفَ (هيوم) المعجزةَ بأنَّها: «خرقٌ لقوانينِ الطَّبيعة»، وبعدَ ذلك يقول: «ويمُكنُ أن نُعرِّفَ المعجزةَ بدقّةٍ بوَصفِها خَرقًا لقانون الطَّبيعةِ بإرادةٍ إلهيّةٍ خاصّة أو بتوسُّط فاعلٍ غيرِ مَرئيٍّ»، وهنا كلمة «خرْق» تُشعرُ بالطَّبعِ باستحالةِ المُعجزةِ من حيث المَبدأ، فهذا التَّعريفُ ليس وَصفًا، بل هو تَوجيهٌ مُعيَّنٌ لرُؤيةِ المُعجزةِ في خلفيّةِ مبادئ فيزياء (نيوتن - Newton) الحَتميّة، وعلى هذه المُصادرة في التَّعريف إشكالاتٌ عديدةٌ من وُجهةِ نظرِ فلسفةِ الدِّينِ المُعاصرة؛ فمثلاً هناكَ فرقٌ بينَ التَّعبيرِ المتُهوِّرِ «خرق قوانين الطَّبيعة»، والتَّعبيرِ الحريصِ في التُّراثِ الإسلاميِّ «خارق للعادة»، فـ «العادة» يَدخل فيها الجانبُ الذاتيُّ والنِّسبيُّ، بغضِّ النَّظرِ عن وجود قوانينَ ثابتةٍ

١ - ينظر: ديفيد هيوم: مبحث في المفاهيمية البشرية، ص١٥٨.

أُحاديّة للطَّبيعة، أمّا تعريفُ (هيوم) فهو مُطالَبٌ بأنْ يُحدِّدَ ما هي القوانينُ الطَّبيعيّةُ التي تُخالِفُ المُعجزاتِ، مثل مُعجزةِ إحياء المَوتى وغيرِها.

في هذا السِّياق يَرى بعضُ المُحدَثينَ أنَّه يمُكن النَّظرُ إلى المُعجزة على أنَّها ليسَت خروجًا عن قوانينِ الطَّبيعة أو خَرقًا لها، بل هي قفزةٌ زمنيّةٌ إلى الأمام في تَطويعِ قوانينِ الطَّبيعة، فمثلاً إحياءُ المَوتى ليسَ بخَرقٍ، لأنَّه يومَ القيامةِ سيَبعث اللهُ النّاسَ جميعًا وهم في عدادِ المَوتى، وهنا يكونُ عالَمُ المَحسوسِ (الظَّواهر الطَّبيعية للمُعجزة) سَبَقَ عالَمَ المَعقولِ، إما بفترةٍ زمنيّةٍ قصيرةٍ أو بفترةٍ زمنيّةٍ طويلةِ الأمدِ[1].. وهذا خلطٌ بين الخوارقِ في الدُّنيا والآخرة، وجعلٌ لخوارقِ العاداتِ قاسمًا مشتركًا، واعتبارٌ للمُعجزة نوعًا من التأويلِ مرتبطًا بالكيفيّةِ الزَّمانيّةِ والمكانيّةِ التي خلقَ اللهُ الكائناتِ عليها.

أمّا من حيثُ مصداقيّةُ المُعجزةِ فيَعتبر (هيوم) أنَّ المُعجزاتِ هي بطبيعةِ الحالِ حَدَثٌ تاريخيٌّ منقولٌ بالرِّواية، ومن حيثُ المَبدأ يُقلِّلُ (هيوم) من شأنِ الرِّوايةِ أو الشَّهادة بشكلٍ عامٍّ، حيث يقول: «إنَّ أيَّ شهادةٍ لا تكفي لإثبات مُعجزةٍ إلا إذا كانَت الشهادةُ من النَّوعِ الذي يكون كذبُها أكثرَ إعجازًا من الواقعةِ التي تُحاول إثباتَها، وحتى في هذه الحالة يَحصل دَحضٌ مُتبادَلٌ للحجج، وتُعطينا الحجّةُ الأقوى وحدَها يَقينًا مُتناسبًا مع درجة القوة الباقية بعد طرحِ القوّةِ الأضعف»[2].

حيث إنَّه لا يُوجد تعارضٌ بينَ وجودِ المُعجزاتِ الحسّيةِ للأنبياءِ وبينَ سُنّة الله تعالى؛ فالمُعجزاتُ ليسَت بأعجبَ ممّا هو مُشاهدٌ بالأبصار، ولا تَحتاج لقدرةٍ أعظمَ من القُدرةِ المُشاهَدة، وقد تُسمَّى المُعجزاتُ -في عُرف النّاس- خوارقَ للعادات، فلا يَجوز لأحدٍ أن يُنكرَها. فضلاً عن ذلك أنَّ إنكارَ المُعجزات، على أساس أنَّها أمورٌ خارقةٌ للعادة، يتضمَّنُ إنكارَ النُّبوات؛ فبينَهما اتِّصالٌ كبيرٌ؛ لأنَّ نُبوّتَهم تَبدأ من الوَحي إليهم، الذي وإنْ لم يكنْ معجزةً لعدمِ اقترانه بالتحدِّي، فهو مُعجزةٌ من حيثُ أنَّه خارقٌ للعادةِ، وحيثُ أنَّ مُنكرَ المُعجزةِ إنَّما يُنكرُها لخَرقِها العادةَ[3].

---

١ - ينظر: محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص١٨٦.

٢ - محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص١٥٩.

٣ - ينظر: عباس محمود العقاد: التفكير فريضة الإسلام. ومصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج٤، ص٣٨.

فالوحيُ هو في حدِّ ذاته أمرٌ خارقٌ للعادة، فكيفَ يُؤمنُ به بعضٌ ممَّن يُنكرُ المُعجزاتِ الحسِّيةَ؟ ذلك مع تأكيدِ الوحي على حقيقةِ كلمةِ «كُنْ» (فيكون) في النصِّ القرآنيِّ، التي تَعكسُ قدرةَ الخالقِ على تَغيير طبيعةِ الأشياءِ، وإخراجِ الخلقِ والكونِ من حالةِ الفَوضى والعَدمِ إلى حالةِ النِّظامِ والوُجود، وهو في نفسه كذلك أمرٌ خارقٌ للعادة[1]، كما أنَّ كلَّ موجودٍ خارجيٍّ هو بهويّتِه العَينيّةِ آيةُ الرُّبوبيّةِ، بحيثُ لا يُمكنُ أن يُوجَد بنفسِه، أو يَصدُرَ عن غيرِ الله، كذلك كلُّ مَوجودٍ خارجيٍّ وجودُه في ذاتِه خارقٌ للعادةِ ومُعجزةٌ.

وهنا يجبُ أن نُشيرَ إلى أنَّ ما ذهبَ إليه الحَداثيُّونَ من إنكار المُعجزاتِ الحسيّة في الإسلام للنبيِّ محمَّدٍ ﷺ، إنَّما تقومُ على: أولًا، الأفكار السَّلبيّةِ التي تلقَّونَها عن كتاباتٍ نُسبت إلى الإسلام والمسلمينَ، وثانيًا، رغبةِ كثيرٍ من كُتّابهم في إدانةِ الإسلامِ والمسلمينَ من خلال حديثهم عن خوارقِ العاداتِ والعجائبِ التي امتلأ بها الكتابُ المُقدَّسُ، وهذا الأمرُ غيرُ مَقبول؛ لأنَّ عمليّةَ الإسقاط هذه مَرفوضةٌ بكلِّ جوانبها؛ لأنَّ ما عندَ اليهودِ والنَّصارى مَشكوكٌ في سندِه إلى سيِّدنا موسى وعيسى عليهما السلام[2].

ويَعتقدُ البعضُ أنَّ هناكَ عدّةَ تعليلاتٍ لامتناعِ اللهِ من الإتيانِ بالمُعجزاتِ التي يُطالِبُه بها رسولُه أو مَن حولَه، وعلى الأخصِّ غيرُ المؤمنينَ، وهذه الأسبابُ هي:

١ - التَّعليل بالتَّكذيب

فما أكثرَ مَن سبقوا الرَّسولَ من الأنبياءِ ممَّن كذَّبَهم قومُهم رغم ما أتَوا به من مُعجزات، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [البقرة: ٩٢]، فعَنِ الباقرِ عليه السلام قال: «إنَّ مُحمَّدًا، ﷺ، سألَه قومُه أن يأتيَ بآيةٍ، فنزلَ عليه جبريلُ وقال: إنَّ

١ - سمر عبد الفتاح: الاتجاه الحداثي - وموقفه من المعجزات الحسية للنبي محمد ﷺ (دراسة تحليلية نقدية)، ص١١٥.

٢ - سمر عبد الفتاح: الاتجاه الحداثي - وموقفه من المعجزات الحسية للنبي محمد ﷺ (دراسة تحليلية نقدية)، ص٥٠٢.

اللهَ يقولُ: ﴿**وما مَنَعَنا أن نُرسِلَ بالآياتِ إلّا أن كذَّبَ بها الأوَّلونَ ۞ وكُنّا إذا أرسلْنا إلى قومٍ آيةً فلم يُؤمِنُوا بها أهلكناهُم ۞ فلذلك أخَّرْنا عن قومِكَ الآياتِ**﴾[1].

٢ - التَّعليل بالتأويل السِّحري

ثمّةَ جُملةٌ من الآياتِ تَردُّ الاستنكافَ الإلهيَّ عن الإتيانِ بالمعجزاتِ أو الإذنَ للرَّسولِ بالإتيانِ بها إلى كونِ المُعجزاتِ التي أتى بها المُرسَلونَ والأنبياءُ السّابقونَ قد فُسِّرَت من قِبَلِ قومِهم على أنَّها فعلٌ من أفعالِ السِّحرِ، فعيسى ابنُ مريمَ، الذي أذِنَ اللهُ له أن يُبرِئَ الأكمَهَ والأبرصَ، وأن يُحيِيَ المَوتى، فما قُوبلَت مُعجزاتُه من قِبَلِ الذين كفروا من قومِه إلا بالقولِ: ﴿**... فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَ سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ [المائدة: ١١٠].

٣ - التَّعليل بالتَّعذيب

إنَّ عقابَ مَن يَكفر بعد أن يأتيَه برهانُ المُعجزةِ أشدُّ وأدهَى بما لا يُقاسُ من عقابِ مَن كان كافرًا قبلَ أن يأتيَه هذا البُرهانُ، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٥].

٤ - التَّعليل بعَدم النَّجاعة وعدمِ العِلِّيّة

إنَّ الغايةَ من إنزالِ المُعجزاتِ هي أن يُصدِّقَ غيرُ المُصدِّقينَ، وأن يُؤمِنَ غيرُ المُؤمنينَ، ولكنْ مَن قال إنَّ الايمانَ أو عدمَه هو في أيديهم؟ ومَن قالَ إنَّ لهم حريّةَ الاختيارِ حتى يَقتنعوا أو لا يَقتنعوا ببرُهانِ المُعجزة؟ ثم مَن قالَ إنَّ الرَّسولَ نفسَه هو المُكلَّفُ بإقناعِهم؟ فهو ليسَ له من مُهمّةٍ أُخرى سوى التَّبليغِ، بل إنَّ ما يُبديه من حرصٍ على أن يُؤمِنَ المُؤمنونَ قد يَضعُه في تعارُضٍ مع المَشيئةِ الإلهيّةِ، قال تعالى: ﴿**إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ...**﴾ [النحل: ٣٧]. وذلك

١ - تفسير القمي، ج٢، ص٢١.

أنَّه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَ بِإِذْنِ اللهِ ...﴾ [يونس: ١٠٠].

إذًا ليسَ بينَ الإيمانِ وعدمِه وبينَ المُعجزةِ وعدمِها من رابطةٍ علّيّة؛ فلا المُعجزةُ تَستتبعُ الإيمانَ، ولا عدمُها يَستتبعُ عدمَ الإيمان، ويذهبُ (الشيخ جوادي آملي) إلى: «إنَّ المُعجزةَ هي آيةٌ خارجةٌ عن العادةِ وخارقةٌ لها، لم يُعهَدْ مثلُها، ولا يُعادلُها شيءٌ، فهي وإنْ كانَت غيرَ مَعهودةٍ إلا أنَّها لا تكونُ غيرَ مَعقولةٍ، فلا تكونُ لها علّةٌ مُوجبةٌ، وإنْ كانَت لها علّةٌ إلا أنَّه لا ربطَ ضَروريًّا بينَها وبينَ علّتِها»[1].

٥ - التَّعليل بالآيات الكونية

إنَّ مَن يُطالبُ بمُعجزاتٍ جديدةٍ، ويَطلُبُ برهانَ المُعجزات، فما عليه إلّا أن يُجيلَ نظرَهُ في الكونِ، ليَجدَه عامرًا بالمُعجزاتِ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى؛ فكلُّ ما في الكونِ مُعجزةٌ، من النُّطفةِ التي تتخلَّقُ في الرَّحمِ علقةً ثم مُضغةً ثم جَنينًا ثم إنسانًا سَويًّا، إلى الجبالِ التي نُصِبَت، والأرضِ التي انبسطَت، والسَّماءِ التي تَرفعُ النُّجومَ المُسخَّرةَ لهدايةِ الإنسانِ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ ...﴾ [الروم: ٢٠-٢٥].

وأمّا فيما يتعلَّقُ بسرِّ تنوُّعِ المُعجزاتِ فهو إنَّ لكلِّ نبيٍّ إعجازًا خاصًّا، حيثُ قال الإمامُ الرِّضا عليه السلام: «لماذا بَعث اللهُ -عزَّ وجلَّ- موسى بن عمرانَ بالعَصا ويَدِه البَيضاءِ وآلةِ السِّحرِ؟ لأنَّه كان الأغلبَ على أهلِ عصرِه السِّحرُ، فأتاهُم من عندِ الله بما لم يكنْ في وُسعِ القومِ مثلُه، وبما أبطلَ به سِحرَهم، وثبَّتَ به الحجّةَ عليهم. وأنَّ اللهَ بعثَ عيسى، عليه السلام، في وقتٍ ظهرَت فيه الزَّماناتُ، واحتاجَ النّاسُ إلى الطبِّ، فأتاهُم من عندِ الله بما لم يكنْ عندَهُم مثلُه، وبما أحيا لهم المَوتى، وأبرأ لَهم الأكمَهَ والأبرَصَ بإذنِ الله، وأثبتَ به الحجّةَ عليهم. وأنَّ اللهَ -تعالى- بعثَ مُحمَّدًا في وقتٍ كان الأغلبَ على أهلِ عصرِه الخطبُ والكلامُ، فأتاهُم من كتابِ الله -عزَّ وجلَّ- ومواعظِه وأحكامِه ما أبطلَ به قولَهم وأثبتَ به الحجّةَ عليهم»[2].

---

١ - جوادي آملي: علي بن موسى الرضا والفلسفة الإلهية، ص١١٠.

٢ - الصدوق: عِلل الشرائع، ج١، ص١٢١،

وهنا نودُّ أن نُشيرَ إلى عدّةِ أمورٍ أهمُّها:

- إنَّه لا يُوجَدُ في القرآن الكريم آياتٌ دالّةٌ على نفي المُعجزاتِ الأخرى سوى القرآن، بل هناكَ جُملةٌ من الآياتِ الدّالّةِ على وجودِ هذه المُعجِزاتِ التي يدَّعي الخصمُ نفيَها.
- إنَّ إتيانَ الرَّسولِ بالمُعجزةِ أمرٌ بيدِ الله -تعالى- وليس أمرًا اختياريًّا للرَّسول.
- إنَّ بعضَ المُعجزاتِ التي طالبَ بها المشركونَ تكونُ مَمنوعةً على الأمّةِ؛ لأنَّ بها هلاكَ الأمّةِ وتَعذيبَها.
- إنَّ أعظمَ مُعجزةٍ جاء بها النبيُّ ﷺ، وبقيتْ خالدةً إلى يوم القيامة، هي كتابُ الله المُنزَلُ إليه، أمّا بقيّةُ المُعجِزاتِ فهي ليسَت باقيةً، وهي تُشارِكُ مُعجِزاتِ الأنبياءِ الآخَرينَ.

لم يستعملِ القرآنُ الكريمُ في الاصطلاحِ القرآنيِّ كلمةَ «مُعجزة» للدَّلالةِ على مُعجزةِ أيِّ نبيٍّ، وإنَّما استعملَ كلمةَ «آية أو بيِّنة أو برهان» للتَّعبير عن الأمورِ العاديّةِ أو الأمورِ الخارقةِ للعادة، مثل قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**﴾ [المؤمنون: ٥٠]؛ فالآية تَعني العَلامةَ والأَمارةَ والعبرةَ، ويَستعملُها القرآنُ الكريمُ في أمورٍ عاديّةٍ وأمورٍ تُدعى خارقةً للعادة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الألباب**﴾ [آل عمران: ١٩٠].

خاتمة

إنَّ من أكثرِ الأدلّةِ دلالةً على نبوّةِ الأنبياءِ والرُّسلِ عليهم السلام، وصدقِ دَعواهُم وما جاؤوا به من عند الله -تعالى- هو وقوعُ المُعجزاتِ على أيديهم؛ لأنَّ المُعجزاتِ هي آياتٌ وبراهينُ وبيّناتٌ جاءَ بها الأنبياءُ لبيانِ صِدقِهم وصِدقِ دَعوتِهم.

من القراءة المادِّيةِ للتّاريخِ يتَّضح أنَّ تفسيرها للمُعجزاتِ لم يكنْ باعتبارِها أفعالاً إلهيّةً بحتةً، ولكنْ باعتبارِها انعكاساتٍ للظُّروفِ المادِّيةِ الأساسيّةِ والدِّيناميكياتِ الاجتماعيّةِ، بإعطاءِ

سرديّة أنَّ المُعجزات ما هي إلا أدواتٌ لمعالجة الاحتياجات البشريّة أو تَبرير السُّلطة في سياق تاريخيٍّ، وتَفسير الأَحداث الخارقة للطَّبيعة من خلال التَّركيز على الظُّروف المادِّيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة كمُحرِّكات أساسيّة للتطوُّر التاريخيِّ.

طالَما أنَّ المُعجزات يمُكنُ وقوعُها عقلاً، فهي -وإنْ كانَت مُخالفةً للعادة- داخلةٌ في نطاق المُمكنات العقليّة، ولا يَلزمُ أن يكونَ المُخالفُ لسُنَن الكون مُخالفًا للعَقل.

إنَّ إنكارَ المُعجزات على أساس أنَّها أمورٌ خارقةٌ للعادة يَلزم منه إنكارُ النُّبوّات، فبينَهما تلازمٌ جدِّيٌّ؛ لأنَّ نبوّةَ الأنبياء تَبدأُ من الوَحي إليهم، الذي إنْ لم يكنْ مُعجزةً لعَدم اقترانه بالتَّحدِّي؛ فهو مُعجزةٌ من حيث إنَّه خارقٌ للعادة، وإنَّ مُنكرَ المُعجزة يُنكرُها لخَرقها العادة.

إنَّ القولَ بأنَّ المُعجزةَ خارقةٌ للعقل وأحكامه هو نتيجةٌ للوهم الذي وقعَ فيه الحداثيُّونَ؛ لأنَّهم لم يُفرِّقوا بين أحكام العقل وأحكام العادة، فحُكمُ العادة حقيقتُه إثباتُ الرَّبط بين أمرٍ وغيره، وجودًا أو عدمًا، بواسطة تكرار الاقتران بينَهما على أساس الحِسِّ.

المصادر والمراجع

باللغتين العربية والفارسية

- القرآن الكريم.
- أبو بكر الخوارزمي: مفيد العلوم ومبيد الهموم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
- أبو سفيان مصطفى باحو السلاوي: العلمانية والمذهب المالكي، جريدة السبيل، المغرب، ط١، ٢٠١٢م.
- أبو جعفر محمد بن علي (الشيخ الصدوق): عِلل الشرائع، ج١، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، لا ط، ١٩٦٦م.
- ابن رشد: الضروري في أصول الفقه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لا ط، ١٩٩٤م.
- ابن طاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، مكتل نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، لا ط، ١٩٤٨م.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- باسم مكي: المعجزة في المتخيل الإسلامي، مكتبة التنوير، المغرب، ط١، ٢٠١٣م.
- جعفر السبحاني: المذاهب الإسلامية، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
- جوادي آملي: علي بن موسى الرضا والفلسفة الإلهية، تح. محمد حسن شفيعان، دار الإسراء للنشر، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ.
- حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، المجلد الرابع النبوة والمعاد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- الراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.
- سعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد، دار الكتب العلمية، لبنان، لا ط، ٢٠٠٢م.
- سمر عبد الفتاح: «الاتجاه الحداثي وموقفه من المعجزات الحسية للنبي محمد ﷺ

(دراسة تحليلية نقدية)»، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، العدد الثاني، المجلد السادس، ٢٠١٨م.

■ الشاطبي: الموافقات، دار إحياء الكتب العربية، طبعة مصورة عن طبعة البابي الحلبي. (نسخة إلكترونية موقع مكتبة نور).

■ عباس محمود العقاد: التفكير فريضة الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، لا ط، ١٩٩٨م.

■ عبد الحميد درويش: المعجزات وخوارق العادات، مكتبة علا، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

■ علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

■ محمد بن يوسف السنوسي: شرح أم البراهين، الحلبي، دمشق، ط٢، ١٩٣٩م.

■ محمد حسين هيكل: حياة محمد، مطبعة مصر، القاهرة، ط٥، لا ت.

■ محمد رشيد ريان: الحداثة والنص القرآني، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة عمان، الأردن، ١٩٩٢م.

■ محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة والنشر، سوريا، ط١، ٢٠٠٨م.

■ محمد علي رضائي: مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة في مناهج التفسير الإسلامي، تر. قاسم البيضاوي، جامعة مصطفى العالمية، قم، ط٤، بيروت، ٢٠٢٠م.

■ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٠٦هـ.ق.

■ محمود بن عبد الله الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، تح. علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ط، ١٤١٥هـ.

■ مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ط، ١٩٨١م.

■ نصير الدين الطوسي: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لا ط، ١٣٩٩هـ.ق.